التفكير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي وإشكالية المشروع الحضاري
في المجتمع الجزائري في ظل التحولات

أ / نادية مفتاح – جامعة زيان عاشور الجلفة

- **تحديد المفاهيم الأساسية:**

1-الثقافة: بالمعنى الاثنوغرافي تعني الثقافة المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن القانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو مجتمـــع [1].

2-تعريف guy rocher:

قام guy rocher بمحاولة لتعريف الثقافة استوحاها من تعريف تايلور وتعريفات أخرى لاحقة حيث يرى أن "الثقافة هي مجموعة مترابطة من أساليب التفكير والإحساس والعمل المتشكلة إلى حد ما تتعلمها وتشترك فيها جماعة من الأشخاص يكون مجموعة خاصة متميزة [2].

3- تعريف مالك بن نبي للثقافة: يختلف مالك بن نبي في تعريفه للثقافة مقارنة بالتعريفين السابقين بحيث أن الثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة وبعبارة جامعة هي كل مايعطى الحضارة سمتها الخاصة [3]. بالنظر إلى التعاريف السابقة التي قدمت للثقافة فإن ذلك فإن ذلك التعريف الأول والثاني تبتعد نوعا ما على المعنى الذي نسعى من خلاله توظيفه في الموضوع المتعلق بالحضارة فالتعريف الأول يعتمد على المعارف والمعتقدات والقانون والأخلاق ,ليظهر أن هذا التعريفين يقتصران على العنصر الروحي الذي يتعلق بالعوامل التي تساهم في بناء حضارة المجتمعات. أما بالنسبة لتعريف مالك بن نبي فإنه اشتمل من ذلك بكثير لأنه يشير فيه إلى إحدى المؤشرات التي تتعلق بشروط قيام الحضارة لأن الثقافة في مفهومه يحددها قطبيين تستدعي وجودها بشكل أساسي في بناء الحضارة.

2- مفهوم الحضارة:

الحضارة هي كل جهد تقوم به الإنسانية فالحضارة الإسلامية تتبلور فيما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ جعلت منه إنسان ارفع شأنا وتحققت بموجبه العدالة بين البشر وقدمت له مايسر له الحياة في الجانب المادي.

1 – مفهوم الحضارة عند إبن خلدون:

إنطلق إبن خلدون لتعريف الحضارة من الإستقرار كأول شرط لقيامها على الرغم من أنه يشير غلى العلوم والمعارف التي توصلت إليها الحضارات السابقة ويقول في هذا السياق "وأهل الدول أبدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالهما الدول السابقة قبلهم ,فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم'. [4]والفرق

[5] هنا بادي مابين الحضارة والتمدن. الحضارة في المعاجم الأجنبية مشتقة من الجذر اللاتيني " Civites" (مدينة) و"civis" ساكن المدينة و(civilis)=مدني ويقصد به الاستقرار في الحواضر والمدن وما ينطوي فيه من اجتماع وتنظيم .

التفكير الاجتماعي عند مالك ابن نبي والمشروع الحضاري

نحتاج عندما نتحدث أو نحلل الشروط التي لابد أن نتوصل للمشروع الحضاري في المجتمع الجزائري إلى الأفكار لتي قد مها لنا مالك بن نبي والتي كانت في الحقيقة أفكار واكبت ما عايشه وهي الآن تستطيع أن تقدم التفسيرات لما يحدث في الوقت الحاضر.

أول نقطة يمكن إثارتها في هذا المجال دعوة مالك بن نبي إلى ضرورة إنشاء علم إجماع مستقل يختص بمشكلات العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي[6]. كان من وراء هذه الفكرة تصورات ذات دلالة وأبعاد لزمن يتحكم فيه التطور الصناعي كمؤشر من مؤشرات الحضارة المعاصرة ويحكم أن الجزائر من المجتمعات المصنفة ضمن بلدان العالم الثالث فإن ذلك يجعلنا نعود بها إلى الفترة التي كان لابد لها أن تدعم الاستقلال السياسية كقاعدة اقتصادية تحدد ملامح حضارتها وتوجه مسارها إلا أن ذلك أدخلها في الوضع الذي خرجت فيه من الاستعمار جعلها تتخلى لاإراديا عن بوادر النظام الرأسمالي والوقوع في مخالب الاشتراكية بكل المفاهيم الماركسية التي سادت ذلك النظام منها ما كان صحيحا ومنها ما كان قد شبه الغموض وأكثر من ذلك لم تكن الوسائل المتاحة كافية لإدخالها في النظام لكي تستطيع أن تعيش التجربة التي عاشتها مجتمعات أخرى حققت النجاح و التميز. هذا ما أدى بالمجتمع الجزائري إلى أن تقف أمام وطأة التاريخ وقفة عجز على ثلاث أصعدة تعد محورية في بناء الحضارة للمجتمعات .

1/على صعيد الروابط والقين الاجتماعية من حيث أنهما أصبحت غير مستقرة بمعنى اكتساب قيم يمكن اعتبارها دخيلة على هذا المجتمع والأمر كان واضحا بعد الاستقلال إلى يومنا هذا.

2/على الصعيد السياسي واقع التبعية كان أمرا حتميا وتكونت من خلاله مواقف عبر عنها الفرد الجزائري بالشح العاطفي [7] في العلاقة مع السلطة في كل مراحل التطور التاريخي بعد الاستقلال.

3/على الصعيد المجتمعي برر الفرد الجزائر خلال هذا موقفه السلبي والقطيعة خاصة على مستوى فئة المثقفين.وفي الحقيقة أن هذا لم يكن سوى خطأ وقفت فيه هذه الفئة من حيث عدم حسن توجيه نفسها في تحديد مصيرها وانعدامها إزاء المجتمع والذي (يفترض خلق أفكار نحو التغيير بشكل سلمي) إلا أنها تتحمل معانيه هذا الوضع الانفرادي الذي راهنت عليه بهذه الطريقة ومن ثم لم يتحقق الشرط الأول في بناء مشروع حضاري في الجزائر وشكلت هذا عائقا واضحا أمام ذلك.

II / إذن هي الحاجة ملحة اليوم إلى الأفكار المتعلقة بالمجتمع إذا أردنا بلوغ التجديد ومن ثم توفير الشروط التي تتطلبها النهضة بالمشروع الحضاري, إننا نجد في ما أشار إليه مالك بن نبي في "الروح والفن" في كتابة شروط النهضة (ص 11) ما يفسر واقع المجتمعات العربية بما فيها الجزائر من حيث المعاناة للشعوب إزاء ما يواجهها من مشكلات اجتماعية, اقتصادية وثقافية.

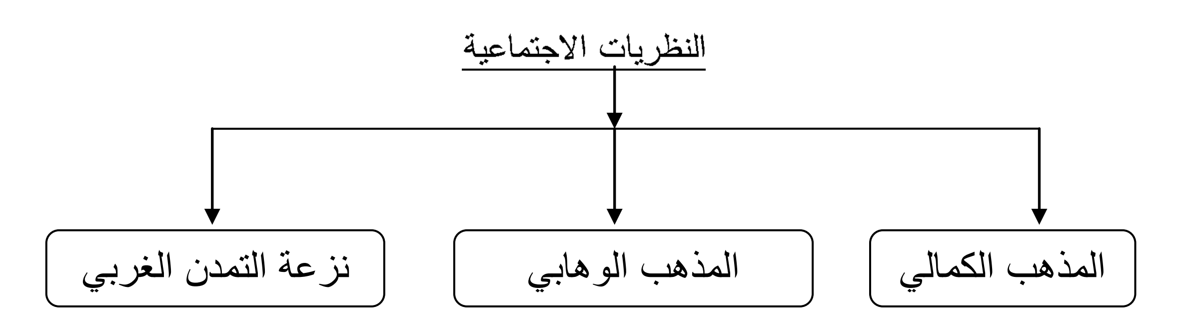
ويستطرد قائلا:(إن مشكلة كل الشعوب هي في جوهرها مشكلة حضارته ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية,ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تتبنى الحضارات أو تهدمها......) [8]. توحي الأفكار التي تتعلق بهذه الشروط العلاقة القائمة مابين الحضارات المعاصرة والحضارات الضاربة ي الظلام والحضارات المستقبلية إلا عناصر الملحمة الإنسانية.

يؤكد مالك بن نبي في هذه الفكرة على ضرورة التواصل مع الحضارات الأخرى لتستطيع الشعوب أن تؤدي دورها في الحضارة الإنسانية بما يملكه من مقومات التميز وإمكانيات التوافق لأن الحضارة كل على شكل سلسلة واحدة تحتاج لحلقات كان من الممكن أن يكون المجتمع الجزائري حلقة من حلقات السلسلة ,إلا أن هذه الحلقة لم يسعفها الحظ لتكون كذلك لأن تاريخ أصول الاستعمار هو إذن الرجوع أو الاستمرار لأن الاستعمار الفرنسي أعاد وضع خطواته بمكان خطوات الرومان في هذه المنطقة على أحد قولهم "أخذنا مكان روما" [9] هذه حلقة من حلقات التاريخ الجزائري لم تلتحم فيها منابع الحضارة لتكتمل في الجزائر ولأن شمال إفريقيا كان لؤلؤة المستعمرات الرومانية فإن ماضي الجزائر أصبح حق ملكية لفرنسا بكل المقاييس التي يفكر بها المستعمر ,ومن ذلك ثم لم يحدث الالتحام الحضاري حتى تكون لحلقة التاريخ في الجزائر مكانة في الحضارة العالمية. كانت هذه من العوائق التاريخية التي منعت بناء المشروع الحضاري في هذه الرقعة من الأرض ,كما كانت إذن ثمينة بعض الأخلاق لدى الشعوب التي تمتلك الحضارة وتستجلب القوة لنشرة هذه الحضارة في كل أنحاء العالم حيث تغرساها وتطورها وتحافظ عليها كانت هذه الأخلاق الفياضة للغزو وتملكها روما على مستوى جميع كل القيادات وهكذا وبهذه الطريقة دخلت الحضارة الرومانية إلى الجزائر لإنها كانت تمتلك ما يحقق الاستمرارية لهذه الحضارة ولقد اعتبرها مؤلف "فرنسا الجزائرية" أنها نواة الجنة (أي الجزائر) في النص (46)[10].

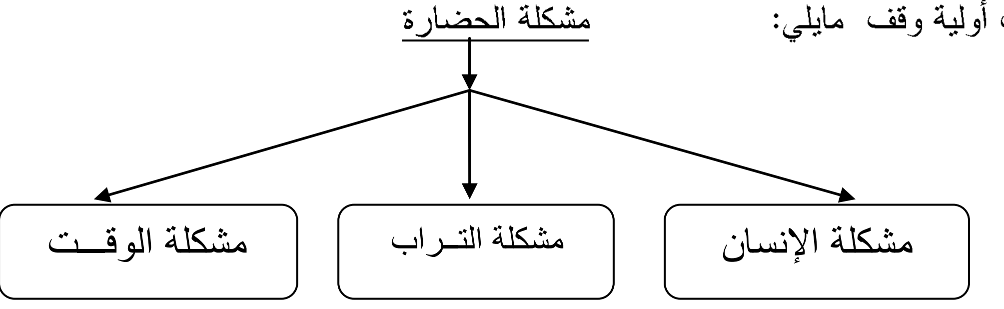
يبدو من هذا أن الجزائر أصبحت في منعطف حاسم من تاريخيها لإنها تعرضت لتجارب مزعجة أظلمت الرؤيا المستقبلية. لذلك فالبنية الاجتماعية في بلادنا الآن تحددت بواسطة الخاصية التي اكتسبتها وهي تحت الهيمنة الإمبريالية لأن الاستعمار خلف بين الجزائريين عادات استهلاكية لا تتماشى مع الإمكانيات الحقيقية للبلاد والتي كانت من الممكن جدا أن تحقق

مجتمعا حضاريا يستمد عناصر الوجود من العرب الفاتحين لهذه المنطقة إلا أن الموعد التاريخي لميلاد الحضارة في هذا المجتمع قدمناهما عدم الاستعداد لذلك.

III_ومن بين الأفكار التي أدرجها مالك بن نبي "الكلمة" [11] والتي أعطالها حقها في التاريخ والمجتمع حيث يرى أن هذه الأخيرة حين يطلقها الإنسان تستطيع أن تكون عاملا من العوامل الاجتماعية التي تساعد على خلق الظاهرة الاجتماعية وبما أنها قد تثير عواطف في النفوس فإنها تغير الأوضاع العالمية. إن الكلمة التي أشار إليها هذا المفكر الجزائري فإنه قدم لها مثال تاريخيا قويا وذلك في كلمة جمال الدين التي ألقت فكرة تضمنت دوافع النهوض غيرت في نفوس الناس التقاليد وبعثتهم إلى أسلوب جديدة في الحياة ,إن هذه "الكلمة" بعثت "الحركة" في كل مكان وبلغ تأثيرها أرجاء كثيرة في العالم فأخذت منها الجزائر نصيب توجه ذلك بالحركة الإصلاحية التي ظهرت في حوالي عام 1925م وتحركت بذلك القوى الفاعلة في إطار المشكلة الجزائرية وهي كانت آنذاك مشكلة تتعلق بالحرية والكرامة وتجسدت هذه الحركة في يقظة الشعب الذي مازالت مقلتاه مشحونتين بالنوم على حد تعبيره وأستيقظ بذلك المعنى الاجتماعي في حديث الشعب,ومن ثم انطلقت الأفكار لتتلاقى ولتتصارع أحيانا وأحيانا أخرى تتحول إلى حالة من الجمود وتارة لحالة التبخر وتارة أخرى للشيوع وظهر في وقت ما يسمى في اللغة العلمية النظريات الاجتماعية التي كانت في ذلك الوقت رائجة في سوق الأفكار.



إلا أن الحركة الإصلاح هي التي كانت أقرب إلى النفوس فاستجاب لها الكثير ذلك لما كانت تقوم عليه في منهجها والذي يستجيب وبشكل حقيقي لقوله تعالى:"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بي أنفسهم" لذلك وجدت هذه الحركة صدى لها صدى حقق الكثير للهوية الجزائرية في ثوابتها الأساسية بذلك تكونت الحضارة إذن كظاهرة اجتماعية ,وبذلك تنحل مشكلة الحضارة على الرغم من مرور زمن لا بأس به للأفكار التي أثارها مالك بن نبي إلى يومنا هذا إلى ثلاث مشكلات أولية وقف مايلي:



هذا الذي يحمل في تصور مالك بن نبي أن بناء الحضارة لا يتطلب تكديس المنتجات أو الماديات التي توصل إليها الجهد الإنساني على هذا المستوى بل العكس بناء الحضارة يتطلب حل المشكلات الأساسية الثلاثة الأولى تتعلق بالإنسان ما يدور حوله ومشكلة التراب ومشكلة الوقت ولأن كل من التراب والوقت أمران متلازمان يتحدد تفعيلهما بالإنسان وليصبح للوقت والتراب قيمة بحسب ما يقدمه الإنسان من جهد لاستثمارهما واستغلالهما في اتجاه يخدم أولا الفرد,المجتمع,والحضارة كنتيجة للتفاعلات الحاصلة مابين الإنسان- التراب والوقت. هي عناصر أساسية لا غنى عنها في بناء الحضارة ولا غنى عن أحد منهما وبذلك يظهر أن العوائق إذا ذابت في أي عنصر منهما فإن ذلك لا يسمح للعناصر الأخرى أن تتفاعل تؤدي وظائفها. إن المنطق في حياة البشرية أنها تتسم بالترابط العضوي المتبادل. إذن فمركب الحضارة وكما يدل عليه التحليل التاريخي هو مركب موجود فعلا خلال التاريخ في (الإنسان- التراب- الوقت) وخلال ديناميكية الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري .

يرجع مالك بن نبي العصور الذي حدث أثناء تطور المجتمعات العربية إلى أن هذه الأخيرة قد سارت في طريق الحضارة الغربية وعلى الرغم من أنها حضارة إنسانية استمدت أسسها من حضارات إنسانية عديدة منها الحضارة العربية الإسلامية [12]. لأنه ولبناء الحضارة فإنها لا يجب عليها أن تخرج عن إطار الثقافة الخاصة بالمجتمع (لأن هذه الأخيرة جزء من الإنسان) لأنه وإن فعلنا فإننا نضطر إلى إنكار الأصالة في إنسانيتنا ومن جهة أخرى إن التشبث بثقافتنا وحدها ونبذ الثقافة الأخرى يؤدي بنا إلى التخلف [13]. وبذلك فإن كلا الطريقتين غير مجدية ولذلك تحتاج الحضارة لكي تكتمل وتتميز أن يحدث مصاهرة بين العناصر الممكنة في ذلك ولهذا لسنا مضطرين لتبني كل المفاهيم والقيم المرتبطة بالثقافات الأجنبية وإنما بالعكس نأخذ ما يفيد لتطعيم ثقافتنا حتى تستطيع أن تدخل حضارتنا في الحلقة التي تحدث عنها مالك بن نبي. إن الجزائر تمتلك الإمكانيات الثلاثة التي تتطلبها الحضارة ولكن ما ينقصها الطاقة الخلاقة القادرة على إبداع وعلى استغلال ما هو متاح في ذلك.

4- يستطرد مالك بن نبي قائلا وهو يشير إلى أهم عنصر في نجاح أو فشل المشروع الحضاري في المجتمع حيث يعتبرها من كوارث التاريخ الإنساني والمتمثلة في "أخطاء القادة عندما يسقطون من حساباتهم في هذه الملاحظة الاجتماعية من هنا تبدأ الكارثة التاريخية ويخرج القطار من طريقه على حد قوله" لذلك فعلا أي مشكلة يرتبط بعوامل زمنية نفسية ناتجة عن فكرة معينة تؤرخ من ميلادها عمليات التطور الاجتماعي في حدود الدورة التي ندرسها ,فالفرق شاسع بين مشاكل ندرسها في إطار الدورة الزمنية الغربية ومشاكل أخرى تولدت في نطاق

الدورة الإسلامية[14] إذن فكل حضارة تحتاج إلى روح العقيدة الدينية لتستمد العناصر المكملة لها وتعتبر هذه الخطوات التي أشار إليها مالك بن نبي حدا فاصلا وأساسيا في الشروط التي لابد أن تتوفر لنجاح أي مشروع حضاري ونخص بالذكر هنا المجتمع العربي حتى لا يجد نفسه مضطرا أيضا لاستيراد حلولا من الشرق والغرب لأن هذا ضياع للوقت والجهد ومضاعفة للأزمات وسبيلا للنية في المسارات التي تسلكها المجتمعات في سبيل الوصول للآخرين .

ولذلك فمهما كانت مكونات المجتمع فإن نقطة الانطلاقة تستلزم العوامل المادية الثلاثة التي ذكرت سابقا حيث تتوفر فيها رأسمال الأمة الاجتماعي وهي أيضا ما يحتاجها في الخطوات الأولى لبناء الحضارة. حاول المؤرخ الإنجليزي **جون أرنولد توينبي** أن يقدم تفسيرا ضخما للحضارة يركز فيه على العامل الجغرافي كدور أساسي حينما أدخله في مذهبه والذي يدعوه "بالتحدي" le défi بمعنى كرد فعل معين تقوم الشعوب أو الأجناس بمواجهة لتحد معين ويشير إلى الطبيعة بالخصوص . للإشارة فإن ما ذهب إليه توينبي فإنه بعد جزءا متضمنا في مشكلة الثانية التي تحدث عنها مالك بن نبي ألا وهي "التراب" كعنصر أساسي من عناصر الحضارة.

5- ركز مالك بن نبي عن الإنسان كونه العنصر المحرك لعجلة لتاريخ في بناء الحضارة وفي مواجهة الطبيعة من أجل تحقيق الوجود الاجتماعي لذلك نجده يقر في أحد أفكاره أن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ فلا يمكن لنا أن نقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوربا المستعمر ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار لأن كليهما في طور خاص.

إن هذا يمنحنا القدرة على إيجاد العوائق التي وقفت في زمن ما أما رجل العالم الإسلامي الذي أثبت التاريخ على أن قابليته للاستعمار ترتب عنها تأخرا حضاريا دفعت الأجيال الموالية ضريبة ذلك,حتى أنه أصبح من الصعب إقامة المقارنة بينهما وأبعد من ذلك أن لا يمكن لأمة أن يؤسس حضارة وهي تحت وطأة الاستعمار في الوقت الذي كانت فيه العالم يتغير باستمرار تحت ضغوط الاختراعات العلمية والتي كانت لها الأثر الإيجابي في الشعوب المستعمرة في حين لم تستفيد منها الشعوب المستعمرة. لذلك فاتتها نقطة الانطلاقة في التاريخ والحضارة وحتما فإنها لن تصل في نفس الوقت لنقطة الوصول. وأكثر من ذلك وبحكم وطأة الاستعمار فإننا تعرضنا وتعرضت أوكارنا وتقاليدنا وقيمنا إلى الهدم ولذلك ولبناء حضارة خاصة بنا لابد من تصفية هذه العادات والتقاليد والإطار الخلقي والاجتماعي مما هو عليه.

حتى تتوفر العوامل الداعية لحياة والانبعاث وذلك بفكر جديد يحطم ما كان موروث أثناء فترة التدهور ونحتاج في ذلك إلى تحديد الأوضاع بطرقتين سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي وإيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل [15]. إذن نحتاج على هذا المستوى إلى الثقافة على اعتبار

أنها تعكس حضارة معينة وفي نفس الوقت هي المحيط الذي يتحرك في طلقة الإنسان,فهي تضم إذن معطيات تتعلق بالإنسان ومعطيات أخرى تتعلق بالمجتمع ونجاحها يتوقف على انسجام هذين المعطيين عبر عملية التركيب في كيان واحد هذا لأنه لا يمكن تصور مجتمع مجرد من الثقافة وبحيث أن الشعب الذي فقد ثقافته فإنه حتما فقد تاريخه ومن ثم يصعب عليه استجماع العناصر المكونة للحضارة تحت أي شكل من الأشكال. للاستعمار ترتب عنها تأخرا حضاريا دفعت الأجيال الموالية ضريبة ذلك,حتى أنه أصبح من الصعب إقامة المقارنة بينهما.....لذلك....لا سبيل إذن لعودة الثقافة إلى وظيفتها الحضارية إلا بعد تنظيم الموضوع من الحشو أو الانحراف الذي أحدثه فيه عدم فهمنا لمفهوم "الثقافة" [16]. إن الإنسان الجزائري ظل على مدى التاريخ يبحث عن السند المعنوي والمادي ولأجل ما مر عليه من صدمات تاريخية فقد الثقة بنفسه وبما حوله حتى أن ذلك قد يأخذ وقتا كبيرا أمام سعيه في بناء مستقبل ثقافي إنساني واستغلالا صناعيا يقدم ما يناسب التحدي للتموقع.

إن بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرفت انتقالا للفظتين "ثقافة وحضارة" من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع وهو انتقال كان موازيا للتوسع الاستعماري "المتعرف" على الشعوب "مجهولة" ومن ثم حدث ما يمكن وصفه انتصار الخاص على العام [17]. حدث فيه تجاوزا للمفهوم المثالي لثقافة غربية ونسبية ثقافة لشعوب المجهولة هذا الذي أحدث الفروق التاريخية.

أشار مالك بن نبي إلى الصناعة لكنه يرى أن المسلم به أن للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما بناء مجده ولكن الصناعة بالنسبة للمجتمع وسيلة للحفاظ على كيانه واستمرار نموه ويضرب مالك بن نبي لنا مثلا حيا حين يقول :"...فالراعي نفسه له ضاعته ,ومما يدلنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة أن لها مدرسة وطنية في فرنسا بمدينة (رامبولية) من ضواحي باريس ,فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة والراعي عندنا يقود كل منهما قطيعة , لعلمنا أي فرق بينهما ؟ [18]. الأمر إذن عجيب والمقارنة غير ممكنة لأن الراعي في مجتمعنا الراعي لا يخضع لأي تكوين وهذا يدفعنا التي تأيد الشروط التي لابد أن تنطلق وتتوفر في كل مجتمع على حد البناء حضارته وضرورة الأخذ بعين الاعتبار معطيات الفرد ومعطيات المجتمع في زمان ومكان محدد.

يضيف مالك بن نبي إلى شروط بناء الحضارة المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي إلا أنه ذلك يشير إلى الحوار مابين الرجل والمرأة منذ آدم وحواء (شجار) سواء على المستوى الرمزي عن طريق بعض الكلمات إلا تظهر المرأة فيها المظهر الجمالي. بينما الرجل مظهر القوة في حين أن القوة ضرب من الجمال,هذين الموقفين يعبران ذوق الجمال في أبسط صورة [19], هذا الذي يعني أن الحياة في المجتمع قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات أي بالجانب المادي أو الاقتصادي من الحضارة تتخذ لها اتجاها عاما ولونا شاملا يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة

بالمبدأ الأخلاقي وبذوق الجمال الشائعي في المجتمع هذا المجتمع. هذا الذي يحاول من خلاله إبراز الخصوصية التي تتميز بها مجتمعات دون غيرها خاصة على مستوى الثقافات والمعايير. يظهر من خلال هذا العرض المختصر لبض أفكاره التي وردة في مؤلفيه شروط النهضة ومشكلات الحضارة أن مالك ابن نبي قد تميز بفكره وبمنهجه واستطاع بذلك وضع يده على أهم قضايا العالم المختلف بما في ذلك الأمة الجزائرية خاصة وانه ركز في فكرته على هذا المستوى أي تاريخ المجتمع ولكنه في مرحلتين هامتين كان في ذلك (الوقف)حاسما وهو حينما يولد أو حين ينهض.... لمجتمع يتحدد بموجبها تاريخ وزمان معين وهذا أيضا يتضمن الحركة لذلك استطاع أن يقدم عناصر أساسية في صناعة تاريخ المجتمع من حين تأثير عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء ذلك أن العمل التاريخي هو الذي صنع هذه العناصر الثلاث .إن العلاقة التي تبدو علاقة العضوية التاريخية في كل عنصر من العناصر المذكورة ولذلك لا يمكن اعتبار التاريخ ما تصنعه من الصداقة ولا حتى ما تقوم به الشعوب المستعمرة ولكن الجهد التاريخي الذي تقوم به الشعوب في أوطانها .

ذهب مالك بن نبي إلى اعتبار الحضارة ظاهرة إنسانية (وهي كذالك) لكن تتميز بشي من الإقليمية أثناء التكوين حتى تتميز عن غيرها بحيث انه يقر أن كل شعب باستطاعته بناء حضارة انطلاقا من المعطيات الأساسية لها في حدود الثقافة الخاصة بكل مجتمع على اعتبار أن كل شعب .... مستواه الحضاري [20] ولان الحضارة تختلف من حضارة إلى أخرى ولذالك هي احد المعايير التي تعطي الخصوصية والفرق بين الحضارة وحتى بين الشعوب .

من هذا استشف حقيقة علمية لا يجب أن يغفلها احد إلا وهو ضرورة التفريق ما بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة فالأول خاص والثاني عام إلا هذا لا يعني انه لا يعني تجاهل التأثير المتبادل بين النشاط الروحي والنشاط المادي في الحياة وبذلك يصير النشاط البشري وحدة متكاملة ذات جانبين :فالروحي يمد المجتمع بأسباب اليقين النفيس ودوافع الاطمئنان الروحي والمادي يحد المجتمع بوسائل الاستعلاء على الطبيعة وتذليلها لإرادته [21] وبالفعل يحتاج الإنسان إلى الوسائل التي يتحكم بها في الطبيعة هي أصل نتاج جهده الخاص .

لقد توصل مالك ابن نبي من خلال أفكاره هذه في مؤلفيه (شروط الحضارة) الى تشخيص القصور الذي حال دون بناء الحضارة في المجتمع الجزائر ي على الرغم من توفر "الإنسان والمكان والزمان " لذلك كما انه ومن خلال تحليله لتلك الأفكار فإنها ابزر الظواهر الإنسانية التي ميزت هذا المجتمع وهي أيضا ظواهر اجتماعية ارتبطت بالإنسان.

الهوامش:

1- د-الطاهر لبيب ,سوسيولوجيا,ثقافة ,نشر الملتقى ,2006,ص 88

2 -guy rocher :introduction à la rociologie générale .t 1 chaptre culuture ,civilisation et édéolgie),éd :HMD.col points.paris.1968.p111

3- مالك ابن نبي.شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي.عبد الصبور شاهين .اصدار ندوة مالك ابن نبي .دار الفكر لبنان.ص99

4- عبد الرحمان ابن خلدون .المقدمة.مؤسسة الاعلمي للمطبوعات .بيروت.ص175

5-dictionary ofanthoropologie.delhis.1988.p117.

6- مالك بن نبي.مشكلات الحضارة-بين الرشاد والبيئة.دار الفكر المعاصر.بيرت.لبنان2000م ص (10)

7- د.عشراني سليمان.الشخصية الجزائرية –الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية.ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر.2002 م.ص.199.

8- مالك بن نبي,شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي.عبد الصبور شاهين .اصدار ندوة مالك ابن نبي .دار الفكر لبنان ص11

9- فليب لوكا-جون كلود فاتان,جزائر الأنتربولوجين-نقد السوسيلوجيا الكولونيالية-منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال - 2002,ص 220.

10- نفس المرجع السابق,ص 234

11- شروط النهضة ص22.

12- نبيه فارس,توفيق حسين,هذا العالم العربي ,ص214

13- محمد طمار ,الرابط الثقافية بين الجزائر والخارج ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر 2007م,ص,292

14-مالك بن نبي,شروط النهضة,ص 48,47

15-مالك بن نبي,شروط النهضة,نفس المرجع السابق, ص80

16- مالك بن نبي,شروط النهضة,نفس المرجع السابق ,ص83

17- د.الطاهر لبيب,سوسيولوجيا الثقافة ,نشر الملتقى 2006.ص .9

18- شروط النهضة.ص 97

19- مالك بن نبي ,شروط النهضة.ص,99

20- مالك ابن .شروط الحضارة .ص83

21- عبد الحميد السماراتي .تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين .ص18